الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية الافتراضات والتصنيفات والأسس – رؤية تحليلية –

م .
د . منعم خميس مخلف (*)
drmoneam Kh @yahoo.com

الملخص:

أن الواقعية الجديدة كمدرسة فكرية او نظرية من نظريات العلاقات الدولية لها جذور ممتدة وموغلة في تاريخ العلاقات السياسية الدولية المعاصرة . وهذا ما بلور تصورات فلسفية محددة للعلاقات الدولية. وقد مرت نظرية الواقعية الجديدة كحال النظريات الأخرى بمسار تطوري كنتيجة منطقية لتراكم فلسفي لعدد من المفكرين الاستراتيجيين حاولوا صياغة تلك النظرية وسبر أغوارها في محاولة جادة لتقديم تحليل منطقي يتصف بالعلمية او يقترب منها على الأقل لتلك المدرسة ومحاولة التنبؤ بالسلوك السياسي الدولي للقوى الدولية الفاعلة . ان لهذه النظرية وكما وصفه بعضهم بالقوة الثابتة والتأثير الممتد وعلى مختلف أنواعها وأنماطها في العلاقات الدولية وتحليل مسارها التفاعلي مع العلم اننا يجب ان لايغيب عن أذهاننا بان لكل نظرية ميزات ايجابية وأخرى سلبية سيما تلك المتعلقة بالعلوم الإنسانية وهذا ما لم تخرج عنه الواقعية الجديدة كنظرية تؤطر لظاهرة إنسانية.

المقدمة

ان نظريات العلاقات الدولية عموما تنطلق من مفاهيم ومنطلقات وكذلك افتراضات محدده عن الواقع الدولي وتجد تلك النظريات جذورها في الفكر السياسي والاستراتيجي العالمي بشكل عام والغربي بشكل خاص الذي بلور تصورات فلسفية محددة للعلاقات الدولية.ان قيم

(*) كلية الزراعة– جامعة بغداد.

المجتمعات وتراثها الفكري والإنساني بشكل عام والسياسي بوجه الخصوص تمثل مرتكزا أساسيا يعول عليه في بناء منطوق نظري للعلاقات الدولية. وبالنسبة للنظرية الواقعية الجديدة كغيرها من النظريات السياسية الدولية عرفت مسارا تطوريا مما أدى الى اتجاهات متعددة داخل المنظور الواقعي –ان صح التعبير–ان هذه النظرية هي نتاج لتراكم فلسفي من مورغنثاو الى والتز مرورا بجبلين وغيرهم من منظري هذا النمط الفكري. واثرت البيئة الدولية وتحولاتها بشكل مباشر ومحوري في صياغة الافتراضات الأساسية لهذه النظرية وكل تلك النظريات من واقعية تقليدية وبنيوية وواقعية جديدة كل ذلك لتقديم تفسيرات مقبولة لما يحدث في العلاقات الدولية، وتقديم تفسيرات لسلوك القوى الكبرى التي لها نفس القوة الخارجية تتصرف بنفس السلوك السياسي الخارجي رغم الاختلافات الداخلية على كل لمستويات.لذا فأن البحث يرتبط بجملة **اهداف** هي:

١- بيان المسار التطوري للمدرسة الواقعية وصياغة تأطير نظري للموضوع.
٢- دراسة تحليلية للمنطلقات الفكرية الأساس الجديدة وماهية الامتدادات للواقعية الكلاسيكية فيها وبماذا تختلف، ومحاولة تقديم رؤية تحليلية لهذه المنطلقات الفكرية.
٣- بيان سلبيات وايجابيات هذه المدرسة من خلال تقييم موضوعي لها.
٤- وأخيرا وليس اخرا معرفة الاسهام الذي قدمته هذه المدرسة في التنظير السياسي الدولي.

ولتحقيق هذه الاهداف فأن البحث ينطلق من **فرضيتين أساسيتين** :أولهما ان المدرسة الواقعية بمختلف اشكالها تحاول تقديم تنظير تبريري لسياسات القوى الكبرى وتجذير التصور الغربي للواقع الدولي وتعزيز السيطرة للقوى العظمى على النسق الدولي، وثانيهما التحييز القيمي لتلك النظريات نحو القيم السياسية الغربية. اما على صعيد المنهج العلمي فسوف نعتمد المنهج التحليلي في بحثنا هذا.عبر دراسة الواقعية والجديدة ومسارات تطورها،وافتراضاتها الاساس.

اولا:الواقعية الجديدة مسار تطوري

ان المدرسة الواقعية الجديدة جاءت نتيجة لتطور مسارات الواقعية التقليدية والتي كانت تمثل من وجهة نظر الواقعيين التقليديين الوسيلة الأفضل لحفظ السلم وضمانه أي توازن القوى بمفهومة التقليدي والذي يعني التوزيع المتكافئ نسبياً للقوة والقدرة على شن الحرب بين دولتين او

مجموعة دول وكانوا يرون ان اساس ذلك التوزيع يكمن في الجانب العسكري وضرورته كونه متكافئاً عسكرياً[1]. وعليه استمدت جذوها من المدرسة الواقعية التقليدية واراء مورغنثاو.

حاولت الواقعية على اختلاف مسمياتها (تقليدية، جديدة/بنيوية)، تقديم تفسيرات مقبولة لما يحدث في العلاقات الدولية، و نقطة الاشتراك بينهم هي القول بتأثير معطيات البيئة الدولية على سلوكيات الفواعل الخارجية، غير أن ما يمكن ملاحظته في ما يتعلق بمواقفهم حول طبيعة الفصل ما بين السياسة الداخلية والخارجية هو اختلاف حدة هذا الفصل، بحيث نجده صلبا مطلقا عند أنصار الواقعية التقليدية و كذلك الجديدة البنيوية مع Kenneth Waltz ، في حين يذهب أنصار الواقعية الجديدة إلى تخفيف حدة هذا الفصل، والقول بتأثير المحددات الداخلية للدولة وأهميتها في فهم السلوك الخارجي إلى جانب المحددات الخارجية.

وتعرف ايضا بالواقعية البنيوية او العصرية. وتعد ذاتها امتدادا للواقعية التقليدية في الثمانينات. ومن ابرز كتابها (كينيث والتز، ستيفن كريزنر، روبرت جبلين، روبرت تاكر، جورج مودلسكي) ويسعى هؤلاء الى تقديم نظرية علمية موضوعية للعلاقات الدولية وذلك عكس الواقعية التقليد التي طانت تقوم على البديهية. وبالرغم من انطلاق هذه المدرسة من المسلمات والمفاهيم الاساسية ذاتها للواقعية، فأنها تحاول تحويل العلاقات الدولية الى علم اجتماعي[2].

في السبعينيات انتقدت أطروحات الواقعية التقليدية، بسبب منهاجيتها السلوكية، التي تمحورت حول سلوك الدولة –العنصر الأساسي في تقديرها–في السياسة الدولية، وأخفقت في استيعاب الواقع الحقيقي على أنه "نظام" له بنيته أو كيانه المميز، وبالغت في تفسيرها للمصلحة، ومفهوم القوة، وأغفلت سلوك المؤسسات الدولية، وأطر علاقاتها الاعتمادية في جوانبها الاقتصادية[3].

---

[1] **Wesly. M, Bagby, Contemporary International problems, Nelson Hall, Chigaco, 1983, P.P.14-15**

[2] **د. سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، مكتبة السنهوري، بغداد، العراق، ٢٠٠٨م، ص ١٥٠.**

[3] **جهاد عودة، النظام الدولي...نظريات و إشكاليات ، ط١، دار الهدى للنشر و التوزيع، مصر، ٢٠٠٥م، ص٤٣-٤٤.**

وبغية تكييف الواقعية التقليدية مع التطورات في السياسة الدولية ظهرت الواقعية الجديدة وهي اتجاه داخل الواقعية طوره K.Waltz وأطلق عليه اسم الواقعية البنيوية structural realism، أثار فيه العديد من الأسئلة الإضافية التي لم تكن الواقعية التقليدية قد عنيت بها[١]. لم تختلف الواقعية في شكلها الجديد عن الواقعية التقليدية في خصوص عدّ العوامل النابعة من البيئة الخارجية كمحدد رئيس للسلوك الخارجي للدول، وذلك انطلاقا من الأساس الذي يؤكد ندرة الأمن وفوضوية النظام الدولي، ومن هذا المنطلق فإن جل اهتمام الوحدات السياسية هي كيفية الحفاظ على وجودها وتعزيز فرص تفوقها كلما سنحت لها الفرصة. وان القوة تقاس بمقارنة الطاقات الكامنة في الوحدات المكونة للنظام وهي العنصر الوحيد الذي يميز بين الوحدات المتشابهة تماماً لها الاهداف نفسها وتضطلع الوظائف نفسها، عليه فان والتز يرى مع معظم الباحثين السياسيين الاخرين ان هيكل النظام يرجع الى شكل السلطة والى توزيع وتدرج القوة بين وحدات متماثلة في الواقع رغم الفوارق الدقيقة التي يبرزها بعضهم منهم كهوفمان في كتابه Primacy Or World order[٢]. ان منظري المدرسة الواقعية الجديدة، فرغم تقديرهم و اهتمامهم الكبيرين بالواقعية الكلاسيكية، الا انهم يحاولون ان يبعدوا أنفسهم من الواقعية الكلاسيكية ، كواقعيين جدد موفرين بذلك اطارا نظريا للواقعية اثبت جدارته وصحته ممارستها، مقارنة بذلك الاطار النظري الذي قدمته الواقعية الكلاسيكية.

أما من ناحية الاختلاف فيمكن أن ندرجها في النقاط التالية[٣]:

١- القوة عند الواقعيين الجدد هي وسيلة و ليست غاية بينما هي وسيلة و غاية في نفس الوقت عند الواقعيين الكلاسيكيين.

---

[١] نفس المصدر، ص٤٤.

[٢] نقلاً عن برتردان بادي ، ماري كلودسموتس ، انقلاب العالم وسيسيولوجيا المسرح الدولي ،ترجمة سوزان خليل ،كتاب العالم الثالث ،القاهرة،١٩٩١مصدر سبق ذكره ، ص١٥٢

[٣] جندلي عبد النصر ، اثر الحرب الباردة على الاتجاهات الكبرى والنظام الدولي ،مكتبة مدبولي ،القاهرة،٢٠١١،ص٢٠٥ ومابعدها.

٢- هدف الواقعيين الجدد هو تحقيق اكبر قدر من الأمن وليس القوة وإ نما توازنها وفي هذا الصدد يقول والتز "إن الاهتمام الأخير للدول ليس من اجل القوة ولكن من أجل الأمن".

٣- يفسر الواقعيين الجدد سلوك الدولة تفسيرا تنازليا بينما يعتمد الكلاسيكيون على التفسير التصاعدي.

٤- الصراع الدولي عند الواقعيين الجدد هو نتيجة حتمية للبيئة الدولية الفوضوية و غير الآمنة، بينما الصراع الدولي عند الكلاسيكيين هو من طبيعة العلاقات الدولية هي صراع القوة من أجل القوة.

٥- يبني والتز نظريته على أولوية الدول كفواعل متصارعة في النظام الدولي، و هو بذلك يريد إزاحة فكرة الغريزة العدوانية و الشريرة الكامنة في الطبيعة البشرية و التي يتمسك بها الكلاسيكيون بشدة.

٦- يختلف الواقعيون الجدد مع الكلاسيكيين في طبيعة النظام الدولي و بنيتهن فالواقعيون الجدد يقرون بأفضلية نظام الثنائية القطبية على نظام التعددية القطبية لأنه أكثر ملاءمة وتكيفا مع نظرية توازن القوى وأكثر وضوحا وبساطة، (فالطرف أ) (يدرك الطرف ب) جيدا والعكس صحيح، بينما في ظل نظام التعددية القطبية يصعب مثل هذا الإدراك مما قد يوقع أطراف هذا النظام التعددي فيما يسمى بسوء التقدير أو الخطأ الإدراكي وما ينتج عنه من نتائج وخيمة.

ويرى بعض انصار الواقعية الجديدة مثل جوزيف ناي الابن ان من اكبر المشكلات واعمقها هو وضع مفهوم حقيقي لمفهوم النظام الذي يرغبون به او يريدون الوصول اليه . فالواقعيون يرون ان السياسة الدولية تمارس بين الدول ذات السيادة للحفاظ على توازن القوى فيما بينها ويشير تعبير النظام الى التركيب او توزيع السلطة بين الدول العظمى في حين ان الليبراليين ينظرون الى العلاقة بين الشعوب مثلما ينظرون الى العلاقات بين الدول. وهم يرون ان النظام ينبع من قيم عامة مثل الديمقراطية وحقوق الانسان فضلاً عن القانون الدولي والمؤسسات الدولية مثل الامم المتحدة وكلا الجانبين من النظام على صلة وثيقة بالعالم بصورته التي عقبت انتهاء الحرب الباردة ،

فمن المنظور الواقعي لا توجد علاقة متينة بين النظام والعدل ولكنه يمت بصله وثيقة الى توزيع القوة بين الدول[1] وهي بذلك تتخذ مسارا واقعيا متشددا.

ثانيا: الافتراضات الأساسية للمدرسة الواقعية الجديدة:

حاول (ستيفن لامي Steven L. Lamy) صياغة الافتراضات الكبرى للواقعية الجديدة، مع الاخذ بنظر الاعتبار الاختلافات الشديدة بين الواقعين الجدد انفسهم في تصويرهم لعالم العلاقات الدولية (مثلا الاختلاف بين كينيث والتز وجون ميرشايمر) وفيما يلي اهم الافتراضات[2]:

١. تتفاعل الدول في بيئة فوضوية: وهذا يعني انه ليس هناك سلطة مركزية تفرض اللوائح والمعايير او تحمي مصالح الجماعة الكونية الكبرى.
٢. بنية النظام هي محدد رئيسي لسلوك الدولة على اعتبار ان السياسة الخارجية تعمل انطلاقا من دافع وحافز النظام الدولي.
٣. للدول توجه مصلحي، والنظام الدولي الفوضوي والتنافسي يدفعها لتفضيل المساعدة الذاتية على السلوك التعاوني، بمعنى ان النظام يشجعها بل يجبرها على سلوك الاعتماد على الذات في تامين نفسها وتحقيق مصالحها بدل التعاون مع الاخرين.
٤. الدول فواعل عقلانية، تنتفي استراتيجيتها من اجل الحد الاعلى من الفوائد والحد الادنى من الخسائر. ومؤشر عقلنتها انها تسعى من اجل مصالحها الوطنية.
٥. المشكل الحاسم المطروح من قبل الفوضى هو البقاء بالنسبة للدول الوطنية.
٦. تنظر الدول الى بعضها البعض على انها اعداء محتملين ومهددين لأمن بعضها البعض، وبالتالي تسيطر علاقات ومؤشرات الريبة مما يؤدي الى خلق المخاوف وعدم الثقة والمأزق الامني وهذه هي دوافع معظم سياسات الدول.

---

[1] **جوزيف اس ناي الابن، المنازعات الدولية – مقدمة للنظرية والتاريخ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية القاهرة، ١٩٩٧ ، ص٢٧٤.**

[2] **د. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية: الحوارات النظرية الكبرى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠١١م، ص٢٨-٢٩.**

كان والتز في خمسينيات القرن العشرين سكرتير لجنة روكفلر الامريكية لدراسة "نظرية العلاقات الدولية" التي تأسست عام ١٩٥٤م، وكان واقعيا متمسكا بالأعراف، من حيث التوجه، تقليديا من حيث الطريقة والاسلوب. ومن جهة اخرى، فان" نظرية السياسة الدولية" لتمت بصلة الى المذهب التقليدي من حيث الاسلوب وطريقة العرض، او الى التمسك بالأعراف من حيث الحجج التي تسوقها[١].

كانت استراتيجية والتز الاساسية المحافظة على الواقعية في وجه تحد المذهب التعددي هي تقييد نطاق الواقعية كنظرية. اولا، في حين ان مورغنثاو كان يعتبر "النظرية" مصطلحا فضفاضا–على الرغم من اشاراته المتكررة الى قوانين السياسة وما شابه– فان والتز يرى ان النظرية قد عرفت بدقة بالغة في فصله الاول من كتابه "نظرية السياسة الدولية" لعام ١٩٧٩م، وذلك بعبارات مستسقاة من تفكير كارل بوبر بشان الطريقة العلمية كما تعكسها عدسة النظرية الاقتصادية الحديثة[٢]. اهتم والتز بانتاج نظرية وضعية وليس معيارية، والنظرية الوضعية تعني طرح مقولات مترابطة ومتصلة تشبه القوانين، ويمكن ان نستخلص منها فرضيات يمكن اختبارها مع انه يعترف ان الاختبار يميل الى ان يكون عملية انطباعية في العلاقات الدولية اكثر مما هي عليه في العلوم الاساسية[٣]. وذلك بسبب اختلاف إمكانية القياس والمعيارية بين العلوم الإنسانية والعلوم الصرفة.

وعليه ربما لم تتعرض نظرية في مجال العلاقات الدولية للنقد النظري والعملي أكثر من الواقعية. وقد كان من المفترض أن يكون فشل النظرية في تفسير والتنبؤ بالنهاية يعد التزام نظرية الواقعية بالفهم العلمي للسياسة الدولية ،واحد الاسباب الرئيسية التي جعلت هذه النظرية تسيطر على العلاقات الدولية على الأقل في الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية ،فإنه على الرغم من أن الواقعيين لم يكونوا وحدهم الملتزمين بالتحليل العلمي للسياسة، كما لم يشارك جميعهم في

---

[١] كريس براون، فهم العلاقات الدولية: مركز الخليج للأبحاث، ط١، مركز الخليج للأبحاث والنشر، دولة الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤، ص ٥٨

[٢] د. احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية للولايات المحتدة الامريكية نموذجا، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ٢٠١٣، ص ١٦٢.

[٣] نفس المصدر، ص١٦٢.

الاعتقاد بالأيديولوجية العلمية (أو الإيجابية المنطقية) إلا أن مهندسي الواقعية الرئيسيين هم الذين دافعوا عن علمنة السياسة، وقد كان هذا هو أحد الأسلحة الفعالة في نقد المدارس الفكرية الأخرى لكونها مشوشة وغير دقيقة، هذا إلى جانب إغراقها في المثالية[1].

وعن طريق الادعاء بأن الواقعية هي نظرية علمية، فقد استطاع الواقعيون إقناع الآخرين بكون نظرياتهم الواقعية قابلة للتطبيق في أي زمان ومكان، وأنها متحررة من القيم بالإضافة إلى أنها عالمية وموضوعية. وعلى الرغم من أن هذا الاعتقاد في التحليل العلمي للسياسة العالمية لم يكن العامل الوحيد الذي ساعد الواقعية على الهيمنة والبقاء من عصر إلى آخر في مجال العلاقات الدولية، إلا أنه مما لا شك فيه قد ساعد الواقعية على أن تتسمى خطأ بالواقعية، وأن تتبوأ هذه المكانة العلمية التي لم تكن لتستحقها أساساً[2].

يحاول والتز في كتابه (نظرية السياسة الدولية) ان يصوغ نظرية سياسية ويوضح اسسها، وعلى الرغم من معرفته انه لا يوجد هناك نص متفق عليه على مفهوم النظرية، وان معنى توازن القوى نفسه هو موضع نقاش. ومن هذا المنطلق، يتساءل والتز ما اذا كان من الوهم محاولة ازالة الالتباس الذي يحيط هذه الفكرة، وقد ادت محاولته هذه الى انشاء نموذج لتوازن القوى[3]. ان والتز يوفر أفضل نموذج لتوازن القوى التنافسي او ذلك القائم على التضاد، فان منطق بحثه يوحي بإمكانية نشوء توازن توافقي. وفي هذا المجال انه يلمح الى بروز نظام احادي القطب. ولذلك فان عدم الاسهاب في بحث مسالة احادية القطب هو من نقاط الضعف الاساسية في نظرية السياسة الدولية. ان والتز كان اول باحث منظر في مجال السياسة الدولية الذي ذهب الى القول (ان المقاربة البنيوية هي وحدها ما يرسي الاساس اللازم لنظرية مناسبة في السياسة الدولية. ويعد ان ابرز مثال لصحة النظرية البنيوية هو الاقتصاد، ويكرر والتز مرارا شرحه للأسباب التي تدعوه

---

[1] بحث بعنوان، القوة الثابتة للواقعية بعد الحرب الباردة بحث منشور على الموقع
http://www.ahram.org.eg/acpss/ahram/2001/1/1/READ104.HTM

[2] نفس المصدر.

[3] كينيث ن.والتز،ن"ظرية السياسة الدولية" في "ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية :الاستعارات والاساطير والنماذج، ترجمة: هاني تابري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٩٧.

للاعتقاد ان الاقتصاديين قد نجحوا تماما في تطوير النظريات، بل انه يبين ايضا لماذا يمكنه الاستناد الى النظريات الاقتصادية لأنشاء نموذج لتوازن القوى[١].

من هذا المنطلق، فان الواقعية الجديدة عند والتز تقوم على الافتراضات الخمس الاتية[٢]:

١. ان الدولة القومية هي الفاعل الرئيس والوحيد في العلاقات الدولية، بسبب احتكارها حق استخدام القنوات القتالية بشكل قانوني.
٢. ان النظام الدولي نظام فوضوي لا نظام تراتبي. ويعزى السبب في ذلك، كون الدول هي اعلى سلطة موجودة داخل النظام، فلا يوجد طرف اعلى سلطة منه.
٣. ان الهدف الأسمى للدول هو سعيها الى الحفاظ على بقائها. من هذا المنطلق، فإنها تسعى جاهدا الحفاظ على امنها وتعظيم نطاقه، ووضع ذلك في مقدمة اولوياتها.
٤. ان الدول لا تثق في بعضها البعض، ولا يمكن احداها ان تعرف بالتأكيد نيات الاخرى، فلبعض الدول نيات شريرة، ولبعضها الاخر نيات سليمة، الا ان ذلك لا يمكن التأكد من هذه النيات بصورة قاطعة، بسبب تغيرها الكبير، تبعا لدوافع الدول وتفاعلات البيئة الدولية وتغيراتها. فمن الممكن ان تكون نيات احدى الدول سليمة في حقبة من الزمن، وشريرة في حقبة اخرى، والعكس صحيح.
٥. ان الدول في سعيه نحو البقاء تفكر جديا في كيفية تحقيق ذلك وهي بالتالي فاعل عقلاني (Instrumentally Rational) ، ولكنها تتعامل في ظل نظام دولي غير دقيق، مع معلومات منقوصة، حيث تكون لأعدائها فرص لإخفاء نياتهم الحقيقية عنها.

ثالثا: قيود الاسقرار السياسي الدولي

وفي هذا الشأن يقدم لنا روبرت غبلين ثلاثة قيود على مقولة والتز فيما يخص استقرار النظام ثنائي القطب، والتي تتركز في الاتي[١]:

---

[١] نفس المصدر، ص١٩٨.

[٢] الدكتور احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية:الولايات المتحدة الامريكية انموذجا، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

اولا: افترض والتز ان لكلا القوتين العظيمتين دافعا لليقظة والمحافظة على التوازن الثنائي. وعلى الرغم من صحة هذه المقولة، فأنها قد لا تحدث بل ان احدى القوتين قد لا تؤدي دورها الضروري في التوازن الثنائي. وقد كانت الحال كذلك عندما فشلت اسبارطة في وقف نمو قوة اثينا.فعند احصاء الاستعدادات الاثنية للحروب اتهم حلفاء اسبرطة الكورنثيون اسبارطة بعدم منع التوسع الاثيني والسماح بتحول توازن القوى لمصلحة اثينا.

ثانيا: القيد الثاني يتعلق بمعنى الاستقرار. لقد كان والتز محقا في القول بان الانظمة المتعددة الاقطاب التي تتكون من دول متساوية القوى تقريبا غير مستقرة لأنها تميل جدا الى العنف (مثل نظام الدول المدينية قبل ظهور لاحتكار الثنائي الاسبارطي الاثيني). غير ان هناك معنى اخر للاستقرار انعدام الاستقرار اي الميل في نظام ما في مجموعة معينة من الشروط لان تحدث اسباب صغيرة نسبيا تأثيرات كبيرة غير متناسقة. ومن أكثر الامثلة التي تساق على مثل هذا التوازن الذي يلازمه عدم الاستقرار البيضة المتوازنة على احد طرفيها يمكن ان تؤدي نسمة صغيرة الى اسقاطها. وبهذا المعنى الاخير يمكن القول ان الهيكل ثنائي القطبية اكثر عدم استقرارا من الهيكل المتعدد الاقطاب. فإذا اضطراب التوازن الدقيق بين القوتين العظيمتين بحدوث تغير ثانوي قد تكون النتائج اعظم مما يكون عليه الحال في نظام متعدد الاقطاب. وهذا هو فرط رد الفعل الذي اشار اليه والتز الى انه يميز الهياكل ثنائية القطب.

ثالثا: القيد الثالث للتحليل يتعلق باستنتاجاته المستمدة من نظرية احتكار القلة. فقد كتب والتز متحديا حكمة علماء السياسة التقليدية المتعلقة بقوة استقرار الانظمة المتعدد الاقطاب. كان علماء السياسة الذين يستمدون استنتاجاتهم من خصائص الدول بطيئين في تقدير العملية (التوافق الامريكي–الروسي). وقد عرف الاقتصاديون منذ زمن طويل ان مرور الوقت يجعل التعايش السلمي بين المتنافسين الكبيرين سهلا. فيعتاد احدهما على الاخر، ويتعلم كل منهما كيف يفسر تحركات الاخر وكيف يتكيف معها او يواجهها. وكما عبر عن ذلك اوليفر ويليامسون: " تقود الخبرة دون الغموض الى مستوى اعلى من التمسك بالاتفاقيات المجزاة

---

[1] **د. احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية:الولايات المتحدة الامريكية انموذجا، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٨–١٦٩.**

والممارسات المتفق عليها". وهكذا تجري عملية تعلم، وتتطور قواعد اللعبة المفهومة ما يسهل السيطرة على المنافسة الثنائية وادارتها.

كما يركز جون ميرشايمر John J. Mearsheimer في تحليله، على القوى العظمى بحكم انها تتحكم في النظام الدولي، ومن ثم يحدد الافتراضات الاساسية التي يبنى عليه التفسير الواقعي الهجومي تحليله للعلاقات الدولية، ومختلف تفاعلات الوحدات الاساسية ضمن النظام الدولي في اربع نقاط اساسية وهي[1]:

الافتراض الاول: ان القوى العظمى تملك بشكل جوهري بعض القدرات العسكرية الهجومية، والتي تمنحها قدرة على الحاق الضرر ومن الممكن تدمير بعضها العبض. اذ من المحتمل ان تكون الدول خطرا على بعضها البعض، بالرغم من انه يمكن ان يكون لبعض الدول القوة اكثر من اخرى وبالتالي اكثر خطرا. كما ان القوة العسكرية للدولة هي عادة محددة بسلاح معين يكون تحت تصرفها.

الافتراض الثاني: لا تستطيع الدول ان تكون واثقة من نيات الدول الاخرى، بحيث انه ليس هناك دولة متاكدة من ان دولة اخرى سوف لا تستخدم قدراتها العسكرية الهجومية لمهاجمة الدولة الاولى. لكن مع ذلك يؤكد ميرشايمر ان هذا لا يعني الدول بالضرورة تكون لديها نيات عدائية، اذ ان كل الدول في النظام الدولي يمكن ان تكون معتدلة بشكل ثابت، ومع ذلك من المستحيل التاكد بان هذا الحكم يؤدي الى التكهن بالنيات مئة بالمئة. هناك العديد من الاسباب الممكنة للاعتداء، وليس هناك دولة متاكدة بان دولة اخرى ليست مدفوعة بواسطة اخرى. كذلك يمكن ان تتغير النيات بسرعة، وبالتالي يمكن ان تكون نيات دولة غير خطيرة في يوم وعدائية في اليوم التالي. فالريبة حول النيات هو امر حتمي، بحيث يعني ان الدول لا تستطيع ابدا ان تكون متاكدة من ان الدول الاخرى ليس لديها نيات هجومية واستخدام قدراتها الهجومية.

الافتراض الثالث: ان البقاء هو هدف اولي للقوى العظمى. تبحث الدول على وجه الخصوص من المحافظة على تماسكها الاقليمي واستقلال نظامها السياسي المحلي. بمعنى ان البقاء يسيطر على الدوافع الاخرى بسبب ان الدولة عندما تكون خاضعة فمن غير المحتمل ان تكون في وضعية

[1] **د. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية:الحوارات النظرية الكبرى، مصدر سبق ذكره، ص ٣١-٣٤.**

تسعى فيها لتحقيق الاهداف الاخرى. ويستدل على ذلك ميرشايمر براي جوزيف ستالين Josef Stalin الذي طرح فكرة معبرة عن هذا المعنى عام ١٩٢٧م بقوله: "نستطيع ويجب ان نبني الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، لكن للقيام بذلك لا بد ان نكون قبل كل شيء موجودين". كما يمكن للدول ان تسعى وراء الاهداف الاخرى، لكن الامن هو اكثر اهدافها اهمية.

الافتراض الرابع: ان القوى العظمى هي فواعل عقلانية. فهي واعية ببيئتها الخارجية وتفكر بشكل استراتيجي حول بقائها فيها. انها متاثرة بتفضيلات الدول الاخرى وكيف ان سلوكها من المحتمل ان يؤثر في سلوك الدول الاخرى، وكيف تلك الدول من المحتمل ان تؤثر في استراتيجيتها من اجل البقاء. كما تهتم الدول بنتائج المواقف على المدى الطويل وايضا المدى المتوسط.

رابعا: مبادئ ومرتكزات الواقعية الجديدة في رؤية النسق السياسي الولي

أ- الواقعية الجديدة والفوضى الدولية:

يتم تعريف العلاقات الدولية غالبا على اساس انها تحدث في غياب السلطة. وهذا هو تحديدا مفهوم مصطلح (الفوضى Anarchy) حيث يعني غياب السلطة او نفي السلطة، اي ليس هناك من يستطيع ان يضمن القانون والنظام وتوزيع الوظائف بين الدول والتعاون بينها. يقول هيدلي بول: "ان سمة الفوضى، وليست سمة النظامو هي السمة البرازة في السياسة الدولية.. وما الحديث عن النظام في العلاقات الدولية سوى رغبة طوباوية ومثالية ومستقبلية غير متحققة الان ولم تكن قائمة في اي وقت مضى". ويقول والتز: "وحدها النظرية التي تبنى على فرضيات الفوضوية الدولية تستطيع ان تقدم تفسيرا حول عدد قليل من الاشياء الكبيرة والمهمة"[١].

وتعرف الفوضوية بانها تعبر عن حالة غياب الحكومة على المستوى الدولي وبالمعنى الرسمي فانها تشير الى عدم وجود سلطة مركزية وبهذا المعنى فان سمة من سمات النظام الدولي وتحدد الاطار الاجتماعي السياسي الذي تحدث فيه العلاقات الدولية ان منطق الفوضوية حاسم فالدول هي العناصر الفاعلة الرئيسية الموجودة في بيئة المساعدة الذاتية والتي تكون فيها المعضلة الأمنية ملحة

[١] **اد.انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، العراق، ٢٠٠٧م، ص٣٦٤-٣٦٥.**

لذا نجد ان الواقعية الجديدة تسعى للعمل ضمن حدود الفوضوية البنيوية[1]. وتوافقا مع ذلك حافظت الواقعية الجديدة على الطرح التقليدي الذي يرى ان الفوض هي معطى دولي ولكنها اخضعتها لسلطة دولية وليست محلية استنادا الى مرجعيتها الدولية، حيث تظل الدولة تدور في الفلك الدولي المسؤول عن تلك الفوضى[2].

وينطلق والتز من ان البينة الفوضوية تقيد تصرفات الدول بحيث ان النظامين (الثنائي والمتعدد القطبية) ينشان عن بنى واعمال من شانها انتاج توازن القوى. فمن وجهة نظر والتز، لا فرق بين ان يكون الناظم مكونا من دول تعديلية او من دول الوضع الراهن، لانه بغض النظر عن اهداف الدول المنفردة، فان البنية الدولية، تدفعها الى اتباع سياسيات تقود الى قيام توازن القوى واعادة انتاج النظام[3].

وفقا للفوضى يمكن وصف السياسة الدولية، بانها جسم مرقع بأجزاء من الحكومات وخليط عناصر ممزوجة من المنظمات حكومية وفوق قومية اما عالمية او إقليمية فضلا عن التحالفات والشركات المتعددة الجنسية وشبكات التجارة الدولية وغيرها[4].

ب- الدولة كفاعل أساسي:

تنطلق الواقعية الجديدة من افتراض اخر مفاده، ان الدولة هي الفاعل الاساس في النظام الدولي الذي تتشكل بموجبه السياسة الدولية وهي الوحيدة التي تمتلك شرعية وسائل القوة التي تجعلها قادرة على الحفاظ على موقعاه في النظام الدولي، اما سواها من التنظيمات الاخرى غير الدولية

---

[1] ملاح السعيد، تأثير الازمة الداخلية على السياسة الخارجية الجزائرية ،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس جامعة قسطنطينة ،٢٠٠٥،ص٢٥.

[2] د. حميد حمد السعدون و د. حسين حافظ العكيلي، رؤية من الداخل للسلوك السياسي الخارجي الامريكي، مكتب الغفران للخدمات المطبعية، بغداد، العراق، ٢٠١٣.

[3] كينيث ن.والتز،ن"ظرية السياسة الدولية" في "ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية :الاستعارات والاساطير والنماذج، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٧.

[4] د. انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٥.

فليست سوى شكلا جديدا لتفاعل الدول باليات جديدة[1]. ان التحليل الواقعي للظاهرة الدولية يعتمد على التفاعلات الدولية للدولة داخل النسق الدولي والسياسة الدولية والمنتظم الدولي وليس اعتماد سلوكها كوحدة منفردة ولا يعتمد ذلك التحليل على مستوى التحليل الداخلي بما فيه من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية امنية[2].

والدول طبقا للواقعية الجديدة لا تختلف في المهمة التي تواجهها الا في قدراتها. فالقدرات تحدد مركز الدول في النظام وان توزيع القدرات يحدد هيكل النظام. والشيء نفسه فان التغيرات في توزيع القدرات تحفز التغيرات في هيكل النظام كما هو الحال في توزيع القوة في الناظم الاحادي الى النظام الثنائي او من الثنائي الى المتعدد. والدول تقتفي القوة كوسيلة للبقاء كما يفسر كينيث والتز. وتحاول الدول في وسائل حساسة استخدام الوسائل المتاحة من اجل تحقيق غاياته، ان تلك الوسائل تقع في صفين، الجهود الداخلية قبل (التحرك لزيادة القدرات الاقتصادية، زيادة القوة العسكرية، تطوير استراتيجية ذكية)، والجهود الخارجية مثل (التحرك نحو تقوية وتوسيع تحالف ما او لأضعاف التحالف المعادي)[3].

شهد العالم مع بداية الثمانينيات تزايدا كبيرا لفواعل جديدة في النظام الدولي، من الشركات المتعددة الجنسية، وكذا المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، مما جعل الواقعية افتراض الواقعية الكلاسيكية أمام وضع يستحيل فيه تجاهل هذا التواجد الأنطولوجي على الأقل (دون النظر إلى مدى فعاليته) لهذه الفواعل الجديدة، ان القوة الناعمة ترتكز على وضع جدول لأعمال بطريقة تشكل تفضيلات الاخرين ان القدرة على اثبات التفضيلات فتميل الى الارتباط بمصادر القوة غير الملموسة كالثقافة والعقيدة والمؤسسات[4] ذات التأثير الجذاب للجمهور.فضلا

[1] د. حميد حمد السعدون و د. حسين حافظ العكيلي، رؤية من الداخل للسلوك السياسي الخارجي الامريكي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦.

[2] جون ميلس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤، ص٢٤٥.

[3] د. سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠-١٥١.

[4] جوزيف اس ناي ،مفارقات القوة الامريكية :لماذا لا تستطيع القوة العظمى الوحيدة في العالم ان تمضي وحدها،ترجمة محمد توفيق البجيري ،مكتبة العبيكان، الرياض،٢٠٠٣،ص٣٨ص٣٩. وكذلك انظر

عن القوة الناعمة ولا تمثل القيم ذروة مدلولها السياسي الا من الممارسة، أي عندما يحاول رجل الدولة ان يطابقها بالصورة الذهنية التجريدية الغامضة التي لديه عن البيئة ان هذه المطابقة الى مايمكن تسميته بالرؤية الطيبة او المتفائلة ولكن لايستجيب الواقع دائما لذلك التصور او الحلم لرجل الدولة او للدولة[1].

لذلك نجد الواقعية الجديدة حاولت التعامل مع هذا النقص في عملية تعديلية ضمت فيه هذه الفواعل واعتبارها جزء في التحليل دون أن تكون ذات فعالة أو استقلالية عن سياسات الدول وأهدافها، وكما يقول والتز"... فعلى مر التاريخ تغيرت الدول في أشكال كثيرة لكن طبيعة الحياة الدولية ظلت هي دوما نفسها صراع وتعاون". أما الأمر الأهم الذي جاء به والتز في هذا الجانب، انه بين أن تفاعل هذه الفواعل من دول ومنظمات وشركات ...الخ فيما بينها يشكل لنا فاعل جديد مستقل عن الأطراف المشكلة له، وهو البنية النظام الدولي، وما يثبت هذا التواجد الأنطولوجي هو الاستدلال على طبيعة هذا النظام الفوضوية التي تؤثر في سلوكيات الدول. أيضا تعتبر الدول حسب هذا الاتجاه مجرد شخصيات مجازية مزودة بأهداف عقلانية، فالواقعية الجديدة تعتبر من المقاربات التي تعتمد على نموذج الرجل الاقتصادي the model of homo oeconomicus، في تحديد أهداف الدولة العقلانية، فهي تتصور وتفهم الفواعل كفواعل أنانية (أو بشكل أعم، موجهة الأهداف (goal-oriented الأفراد أو المنظمات سلوكاتهم ناتجة حسابات عقلانية للتكاليف والفوائد. تتابع الفواعل بوعي وإدراك الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها بأدنى حد من التكاليف. من بين الخيارات السلوكيه فهم يختارون واحد هو الأمثل يفضلونه بالنظر إلى النتائج والعقبات التي يواجهونها. فالواقعية الجديدة تحاول عادة تفسير و توضيح أهداف الفواعل و رغباتها على أنها خارجية بدلا من كونها ذاتية النشوء[2].

ج- السياسة الداخلية والسياسة الخارجية:

Joseph S.Nye JR, why military power in no longer enough ?,observer,Sunday march 31,2002,htpp//observer.gurdian .co.uk /worldview//story/htmll تـــاريخ الـــدخول للموقـــع ٢٠١٤/٣/٢٢.

[1] فرانكل جوزيف،العلاقات الدولية ،ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي ،ط٢،المملكة العربية السعودية ،١٩٨٤،ص٥٥.

[2] **Volker Rittberger. "Approaches to the study of Foreign Policy derived from international relations theories", In site internet: http://www.isanet.org/noarchive/rittberger.html.**

تمسك الواقعيون الجدد بطرح صلب جدا بخصوص فصل السياسة الداخلية عن الخارجية و نفي أية علاقة بينهما، و هذا ما دافع عنه K.Waltz بقوله ":نظرية العلاقات الدولية تفقد طبيعتها عندما تتدخل الخصائص القطرية للدول كأداة تفسيرية للسلوك الخارجي[1]. وبذلك يكون والتز بنظريتة البنيوية تفصل وتنفي اي تاثير دور دور للسياسة الداخلية في تقديم تفسيرات مقنعة لسلوك الدولة الخارجي مما دفع البعض لوصفها بالنظرية النيواقعية النسقية الصرفة Purely systematic neorealism theory وذلك بسبب نفيها لاي تاثير للعوامل الداخلية على صنع السياسة الخارجية الاختلاف بين الهيكل الداخلي والهيكل الدولي تنعكس من خلال الطرق التي تتبعها الوحدات المنضوية تحت اي نظام منهما في تحديد اهدافها وتطوير الوسائل الكفيلة بتحقيقها. فمثلا في الحقل الهرمي المنظم Hierachic realm، تتفاعل الوحدات المتباينة وتتجه نحو الازدياد من التوسع في التخصص وتعتمد على بعضها بشكل كبير. بينما في الحقل الفوضوي Anarchic realm الوحدات هي متشابهة وظيفيا وتتجه نحو البقاء على ذلك، وتعمل من اجل الحفاظ على درجة الاعتماد وتكافح دائما من اجل السيادة المطلقة. لذلك يقترح " والتز" مصطلح (التكامل) لوصف الحالة داخل الوحدات، ومصطلح(الاعتماد المتبادل) لوصف الحالة بين الوحدات[2]. ومن هنا يبدو ان الواقعيين الجدد لا يعطون اهيمة للعوامل الداخلية في تاثيرها على السياسة الخارجية للدولة من ناحية الفهم والتفسير جاعلين ذلك فقط للعوامل الخارجية متمثلة بالمجال الدولي على اعتبار ما يتضمنه النسق الدولي من تاثيرات على السلوك الخارجي للدول.

خامسا:السمات الأساسية للواقعية الجديدة

ان اهم سمات الواقعية الجديدة والتي يمكن ايجازها في الاتي[3]:

---

[1] **James D.fearon, Domestic Politics. Foreign Policy and Theories of International Relations, In site internet: http://www.people.fas.harvard.edu/ Johnston / gov2880/fearon.pdf. p 160.**

[2] **اد. انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٨.**

[3] **د. احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية:الولايات المتحدة الامريكية انموذجا، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٧.**

١. تاكيدها على معنى الصراع السياسي الدولي للسيطرة ومن خلال العلاقات الاقتصادية الدولية وقد ذهبت الواقعية الجديدة الى القول بان كل من المدرسة الليبرالية والمدرسة الراديكالية في الاقتصاد اخفقت في ادراك وفهم هذه العلاقات الاقتصادية عندما تناولتها بمعزل عن العلاقات بين الدول. وقدمت الواقعية الجديدة نظريات لتفسير وشرح العلاقات البنيوية او الارتباط السببي بين الوسائل والاهداف التي تؤدي الى نشوء السيطرة او اضمحلالها، وبالتالي تحدد مؤشرات او معايير للتنبؤ بالنشوء والاضمحلال.
٢. تتميز الواقعية الجديدة بمفهوم الدولتية Statism من خلال منح الدولة القدرة على تكوين الاهداف والمصالح.

يلاحظ على افتراضات الواقعيين الجدد ملاحظتين بارزيتين، الاولى، الانسجام التام مع افتراضات الواقعية التقليدية الجوهرية. والملاحظة الثانية، هي ان البعض من هذه الاقفتراضات هو انعكاس لنتائج الحوار داخل حقل نظرية العلاقات الدولية. فقد اثبتت الواقعية الجديدة على افتراض اهمية القوة والمصلحة الوطنية كموجهان اساسيان للسياسة الخارجة للدول، وهذا يرتبط بافتراض اخر وهو ان الدول الفواعل الوحيدة في النظام الدولي. فهي الفواعل المهيمنة على السياسة الدولية، وحتى ان وجدت فواعل اخرى فهي تابعة للدول او تقوم بدور الدول مثل لاتحاد الاوربي الذي يسعى للاضطلاع بدور الدول من خلال سعي حكومات الاتحاد بإصلاحات داخل مؤسساته. كذلك الامر بالنسبة لافتراض ان الدولة فاعل عقلاني ومؤشر ذلك سعيها وراء المصلحة الوطنية. كذلك بالنسبة لافتراض فوضوية النظام الدولي، هو افتراض يوافق عليه الليبراليون الجدد، لكنهم يضيفون اليه امكانية تلطيف الفوضى الدولية عبر المؤسسات. ومن ثم، مثل هذا الافتراض المطروح من قبل كينيث والتز وتمت مناقشته عبر الحوار داخل حقل نظرية العلاقات الدولية[١]. وعلى الرغم من الاختلاف المفهومي بين المدرستين الواقعية الجديدة والليبرالية فأننا نستطيع ان نتبين انهما يشتركان في المفهوم المركزي وهو وجود نسق دولي بيد انهما يختلفان في

[١] **د. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية:الحوارات النظرية الكبرى، مشدر سبق ذكره، ص٣٤. لتلك العلاقة بين الليبرالية والواقعية الجديدة انظر تفصيلا Hume and others , classical liberalism and international relation theory , USA Edwin van de haar,2009.**

تصوير ذلك النسق في محاولة لتقديم تبرير نظري للهيمنه الغربية واذا رجعنا للتاريخ نجد ان المدرسة الواقعية والليبرالية وجدت في مدرسة الفوضى الدولية حاولت تقديم تبرير لاستعمال القوة ضد الدول في القارتين الاسيوية والافريقية وموروثة الاعتماد المتبادل Interdependence او المجتمع العالمي Global Society كما يرى ماكلين أراد التقديم تبريراً ايدلوجياً لعلاقات التعبئة الكائنة في النسق الدولي وذلك عن طريق وصفها علاقات اعتماد متبادل Interdependence Relations لتصبح اكثر قبولاً من قبل دول العالم الثالث[1] آنذاك.

سادسا: تصنيف الواقعية الجديدة

رغم تاثر كثير من دارسي العلاقات الدولية بنظرية والتز البنيوية، فانها احدثت انشقاقا بارزا في المدرسة الواقعية. فدراسة مقولات انصار المدرسة الواقعية الان تشير الى ان الاساس النظري الذي يتفقون عليه اقل بكثير مما يدعيه دعاتها، ويتصور نقادها على السواء، بل يزداد ضالة ايضا مع كل افتراض او طرح جديد يقترحه احد المنتسبين بحق او غير حق الى المدرسة الواقعية، حين افترق الواقعيون الى فرق كثيرة. وبعد انقضاء اكثر من عقد من الزمان على نهاية الحرب الباردة ظهرت وانتشرت اطروحات وشعارات واقعية جديدة يذكرها جلين سنايدر Glenn H.Snyderهناك الان في حقل العلاقات الدولية نظريتان على الاقل تصف كل منها نفسها بانها (واقعية بنيوية)، وهناك نحو ثلاثة انواع من (الواقعية لهجومية)، وعدة اشكال من (الواقعية الدفاعية)، فضلا عن نظريات واقعية تقليدية حديثة "ومشروطة" و"خاصة" و"معممة"[2].

وعليه سوف نقتصر الدراسة على نموذجي الواقعية الدفاعية والواقعية الهجومية وكما يلي:

١ـ الواقعية الدفاعية Defensive Realism

وقد ظهرت في اواخر السبعينات من القرن العشرين مع نشر كينيث والتز لكتابه الذي يحمل عنوان (نظرية السياسة الدولية Theory of international politics). يفترض والتز ان

---

[1] د. محمد احمد علي مفتي، العلاقات الدولية في الفكر السياسي الغربي ، دراسة تحليلية، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد ٢، المجلد ٢٧، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠، ص٢٧ وكذلك انظر **F.H Hinsley, Power & Persulat of Peace (Cambridge University Prees, Britain, 1963, PP 20 – 21**

[2] د. احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية: الولايات المتحدة الامريكية نموذجا، مصدر سبق ذكره ، ص١٨١-١٨٢.

القوى العظمى هي ليست عدائية في اصلها بسبب انها متشبعة بإرادة القوة، وانما افترض ان الدول تهدف لمجرد الحفاظ على بقائها القومي، انها تبحث عن الامن. كما اكد على ان بنية النظام الدولي تجبر القوى العظمى على النظر بعناية لميزان القوى، لان الفوضى الدولية تجبر الدول الباحثة عن الامن على التنافس مع بعضها البعض من اجل القوة، الن القوة هي احسن الادوات من اجل الحفاظ على بقاء الدول وامنها. النتيجة هي انه اذا كانت الطبيعة الإنسانية هي السبب العميق في المنافسة الامنية في نظرية موغنثاو، فان الفوضى هي سبب المنافسة الامنية والبحث عن القوة في نظرية والتز[١].

اهم روادها: روبرت جيفرسون Robert Jervis، جورج كويستر Joseph Grieco، ستيفن والت Stephen Walt ، ستيفن فان إفرا Stephen Van Evara، جاك سنايدر Jack Snyder وتفترض الواقعية الدفاعية أن فوضوية النسق الدولي أقل خطورة، و بأن الأمن متوفر أكثر من كونه مفقودا، وهي بهذا تقدم تنازلا نظريا بتقليصها للحوافز النسقية الدولية، و جعلها لا تتحكم في سلوكيات جميع الدول، إنها بدأت تقر بوجود سياسات خارجية متميزة، و بالتالي الاعتراف بالآثار الضئيلة للبنيات الداخلية على السلوك الخارجية[٢].

ويجادل هؤلاء ان احتمال وقوع الحرب كانت اعلى حين كانت الدول تستطيع ان تتغلب على بعضها، ولكن كلما كان الدفاع اسهل، فان الامن كان اوفر، وحوافز التوسع اقل، واحتمالات التعاون اعلى. بل حين يكون للدفاع فائدة، وتكون الدول قادرة على التمييز بين الاسلحة الهجومية والدفاعية، فان الدول تستطيع ان تكسب وسائل الدفاع عن نفسها من غير ان تهدد الاخرين، وبذلك تقلل من تأثيرات الفوضى الدولية[٣].

هناك افتراض اخر للواقعية الدفاعية من الصعب التأكد منها او انها في بعض الاحيان هو طوباوية اكثر منها واقعية. من ذلك ادعائهم ان الحروب سببها الحسابات الخاطئة، ولكن

---

[١] **د. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية: الحوارات النظرية الكبرى، مثدر سبق ذكره، ص٣٥.**

[2] **Giden Rose**, **"Neoclassical realism and theories of foreign policy"**, **World politics**, **vol 51**,**1998**,**p p146-149**.

[٣] **د. انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص٣٨٥.**

التساؤل المطروح هو: كيف تتأكد الدول من خطا حسابات القوة؟ ، وكيف يتم تفادي مثل الحسابات القاتلة؟، وكيف يتم تفادي طموحات الدول ي الاستيلاء ولا سيما اذا امتزجت مع طموحات القادة كما هي حالة الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين، وحالة الولايات المتحدة الامريكية تحت ادارة جورج بوش الابن[١].

وعليه فقد طورت الواقعية الدفاعية فرضياتها لتبين من خلالها أثر البنيات الداخلية للدولة في تحديد طبيعة التوجه الخارجي للدول، ففي حالة وجود خطر خارجي، الدولة تجند مجموع القدرات العسكرية، الاقتصادية و البشرية، و إدراك هذا الخطر مرتبط بذاتية القادة السياسيين، الذين يحدون من الوسائل المستعملة إلى الدفاع عن المصالح الحيوية فقط، و أكبر مصلحة حيوية هي الأمن.

بيد ان الواقعية الدفاعية اصبحت تحت الهجوم من داخل وخارج النظرية الواقعية. النقاد يتهمون الواقعية الدفاعية بانها[٢]:

١. خلطت بين ما يجب ان تتعلمه الدولة من النظام الدولي مع ما تتعلمه الدولة فعلا.
٢. فشلت في اعطاء تفسير لحالة الدول المصححة او التي تريد تغيير الوضع لاقائم.
٣. اعطت تركيزا اكبر لمستوى الوحدة Unit-Level في تفسير الفشل الذاتي في السياسة الخارجية او النتائج الدولية السلبية.

وعليه تختلط الواقعية الدفاعية بشكل كبير في هذه الجزيئيات مع الليبرالية الجديدة.

٢ ـ الواقعية الهجومية The Offensive Theory :

واهم روادها جون مير شايمر John J.Mearsheimer، ستيفن والت Stephen Walt، فريد زكريا Farid Zakaria، وظهرت الواقعية الهجومية كرد فعل للواقعية الدفاعية، حيث انتقدتها

[١] د. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية:الحوارات النظرية الكبرى، مثدر سبق ذكره، ص٣٧-٣٨.

[2] **Jeffery W. Taliaferro: Security Under Anarchy: Defensive Realism Reconsidered, Paper Prepared for The Annual Meeting of the International Studies Association, Washington, D.C., February 1999,P 16-20.**

حول المرتكز الأساسي لها في أن الدولة و في إطار الفوضى الدولية تبحث فقط عن أمنها، حيث ترى عكس ذلك بأن الفوضى تفرض باستمرار على الدول تعظيم و زيادة القوة[1].

يرى جون مير شايمر ان النظرية الواقعية في السياسة الدولية، تتحدى انتشار التفاؤل حول العلاقات بين القوى العظمى ومضمون هذا التفاؤل امكانية التعاون بينهما. فقج باد ميرشايمر بتفسير العناصر الاساسية للنظرية، التي اسماها بالواقعية الهجومية. تركز النظرية على القوى العظمى بسبب ان هذه الدول لها تاثير كبير على ما يحدث في السياسة الدولية. ومبرر ذلك ان حظوظ كل الدول —القوى العظمى وايضا القوى الصغرى— هي محددة ابتداء بواسطة قرارات ومواقف اولئك الذين لهم قدرة عظمى على التاثير في العلاقات الدولية. فمثلا السياسة في اي منطقة تقريبا من العالم هي متاثرة بعمق بواسطة المنافسة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ما بين عامي ١٩٤٥-١٩٩٠م. والحربان العالميتان اللتان سبقتا الحرب الباردة لهما نفس التاثير على السياسة الاقليمية حول العالم بسبب النفوذ الكبير لهذه القوى الاكبر منها للحفاظ على بقائها القومي[2].

يعتقد ميرشايمر بان القوى العظمى تحاول الهيمنة في منطقتها، وتحرص في الوقت عينه على ان لا تسيطر اي قوى عظمى منافسة على منطقة اخرى. والهدف الاساسي لكل قوة عظمى هو زيادة النفوذ العالمي الى اقصى حد، والسيطرة في النهاية على النظام. لكل قوة عظمى نوع من الطاقات العسكرية العدوانية، اي انها قادرة على الحاق الاذى بعضها البعض. وأفضل طريقة للاستمرار في نظام كهذا هي ان تكون قوية قدر المستطاع نسبة الى الدول المنافسة المحتملة. وكلما كانت الدول اقوى، تضاءلت احتمالات تعرضها لهجوم دولة اخرى[3].

ان الواقعية الهجومية ترى ان الدول تسعى للحصول على الحد الاعلى من القوة النسبية في مواجهة الدول الاخرى للحفاظ على هامش الامن الموجود. والمثال الجيد لهذا النوع من الدول، هي الدولة المهيمنة على نظام محدد، والتي تحافظ على ادنى درجات الخوف من الدول الاخرى في النظام. وعلى العكس من ذلك ترى الواقعية الدفاعية، ان الدول لا تسعى الى تعظيم قوتها النسبية، وانما تحاول ان تحافظ على مستوى قوتها في مواجهة الدول الاخرى بحيث لا تنحصر شيئا من قوتها النسبية في مقابل قوة خصومها. بتعبير

---

[1] http://www.politics-ar.com/ar/index.php/permalink/3062.html

[2] عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية:الحوارات النظرية الكبرى، مثدر سبق ذكره، ص٤١.

[3] جون ميرشايمر، صدام الجبابرة: من الافضل ان تكون وحشا لا ان تكون وديعا، النسخة العربية من مجلة "فورين بوليسي Foreign Policy ، العدد(١٤٦)، يناير/فبراير ٢٠٠٥م، ص٣٩.

اخر تحاول الواقعية الهجومية الحصول على الامن عن طريق بناء قدرات ثابتة اكبر من قدرات اعدائها، بينما تعتمد الواقعية الدفاعية استراتيجية اخرى صممت لتمنع الدول الأخرى من محاولة توسيع قواتها النسبية[1].

سابعا: ايجابيات وسلبيات النظرية الواقعية الجديدة

ـ الايجابيات

يمكن حصر ايجابيات النظرية الواقعية الجديدة في النقاط التالية[2]:

١- النظرية الواقعية تصور العالم الذي نفهمه بالفطرة وهذا من الأسباب الرئيسية الذي ساهم في صمود التحليل الواقعي في وجه النظريات الأخرى.

٢- لها اهتمام و دعم من علماء التاريخ

٣- النظرية استفزت العلماء لكي يخرجوا و يأتوا بنظريات جديدة مفسرة للعلاقات الدولية.

٤- الباحثين الذين تعرضوا للنظرية بالنقد ابدوا ميولا للاعتماد على منظورها و هذا في حد ذاته دعم للنظرية.

٥- أحدثت تطورات فكرية إضافة في نظرية النظم تجلى ذلك واضحا في تحليل للنظام الدولي ليس كمستوى للتحليل فقط و إنما كموضوع دراسة لها بالاعتماد على الدولة كوحدة تحليل و كفاعل أساسي فيه.

٦- كما جاء الواقعيون الجدد بأفكار جديدة من بينها فكرة الفوضى الناتجة عن غياب سلطة مركزية دولية كمعيار لقياس مدى استقرار النظام الدولي من عدمه، و فكرة الخوف بدلا من فكرة الغريزة العدوانية والتي هي ناتجة من الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي.

٧- فكرة الأمن كهدف للواقعين الجدد بدلا من فكرة القوة.

ـ السلبيات

إن الأساس النظري الذي تقوم عليه الرؤية الواقعية للنظام الدولي هو الطبيعة الفوضوية لهذا الأخير. كما أن المنطق العام في الأدبيات العقلانية للعلاقات الدولية قد شُيِّد على أساس هذا الافتراض القاعدي

---

[1] **الدكتور انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص٣٨٨-٣٩٠.**

[2] **جندلي عبد النصر،اثر الحرب الباردة على الاتجاهات الكبرى و النظام الدولي، القاهرة:مكتبة مدبولي،٢٠١١م، ص٢٠٥.**

الذي تمَّ أخذه كحقيقة مطلقة، والذي يجد أصوله في تحليلات كل من هوبز و روسو ونيتشة وماكيافيلي، الذين حاولوا بنظرة فلسفية تحديد الطبيعة الأساسية للإنسانية.

فطبقا لهوبز، الإنسان شرير وأناني بطبعه،وعليه يعيش الأفراد فيما أسماه ''حالة الطبيعة''، حيث لايوجد قانون ولا يتوافر حكم أخلاقي أو سياسي، وبالتالي فالأفراد يتصارعون دائما وأبدا لأجل البقاء هذا الخوف من العنف والموت سيدفع بالأفراد العقلانيين إلى تفضيل العيش في ظل قوة عليا مطلقة، بدلا من العيش في عالم تعمه الفوضى، وهو ما أطلق عليه ''الليفياثان''[1].

من منطلق هذه الافتراضات الفلسفية الأساسية التي أُسِّست لاسيما من طرف هوبز، شيّد المنظرون العقلانيون بدورهم الإطار النظري الواقعي، لكن هوبز أو روسو مثلا لم ينقلوا حدثا تمت رؤيته، بل جاءت أعمالهم عن الليفياثان والعقد الاجتماعي كثمرة لتفسيرات و تمثُّلات نظرية، وحتى ''ثوسيديدس'' في كتابه The History of Peloponisian War يقر بأن الأحداث والمحاورات التي يعرضها ما هي إلا إعادة بناء فكري تم من قبله.

وبهذا يكون منظورا الميتامنظار العقلاني قد وقعوا ضحية ''انزلاق فكري'' ؛فحالة الطبيعة الهوبزية ليست نتاج ''أنثربولوجيا تاريخية امبريقية''،بل لا تعدو كونها محاولة فلسفية في التفكير السياسي. ويؤكد ''ميكائيل ويليامز'' بأن التفسيرات التقليدية لتحليلات هوبز وروسو- والمؤسِّسة حسبه للمنطق الواقعي والليبرالي- تستند إلى سوء فهم للسياقات المكوّنة لكل تحليل وللتحليل في حد ذاته.

كما أن أنصار علم الاجتماع التاريخي- الذين يهتمون بكيفية كون الهياكل التي نعتبرها شيئا مسلما به بوصفها ''طبيعية''، هي منتجات مجموعة من العمليات الاجتماعية المعقدة-يرفضون الرؤية البسيطة لـ ''الدولة'' كما يفهمها الواقعيون،

ومع هذا تبقى الواقعية كمقاربة نظرية للسياسة الدولية لها تاريخها الطويل والمتميز بعرضها التفسيري المنسجم. كما أن اعتمادها ''قاعدة الشح'' يمثل أعظم إنجازاتها وإن كان لا يضمن تفسيرا لكل الظواهر في السياسة الدولية، غير أن بساطتها ونفعيتها جعلت الكثير من صناع السياسة والمنظرين على حد سواء يثنون عليها[2].

---

[1] قسوم سليم ، المنظار الواقعي وإعادة صياغة مفهوم الأمن،نقلا عن موقع:
http://guessoumiss.wordpress.com ،20/10/20012.

[2] قسوم سليم ، المنظار الواقعي وإعادة صياغة مفهوم الأمن،مصدر سبق ذكره، نقلا عن موقع:
http://guessoumiss.wordpress.com ،20/10/20012.

خاتمة واستنتاجات

١- المدرسة الواقعية الجديدة لها جذور فكرية وفلسفية في الفكر السياسي الغربي قديمة وحديثه.
٢- رغم كل سهام النقد التي توجه للمدرسة الواقعية الجديدة فانها من اهم المدارس والنظريات ان لم تكن الأهم التي تسيطر على دراسة العلاقات الدولية على المستوى النظري ولاسيما في حالة الازمات والصراعات والحروب وهي تمثل صفات ملاصقة للعلاقات الدولية.
٣- ان افتراضات المدرسة الواقعية بكل اشكالها كانت ذات تاثير كبير وملموس على اغلب نظريات السياسة الدولية الأخرى.
٤- ان المدرسة الواقعية الجديدة نزعة فلسفية ومجموعة من الافتراضات عن العالم وتفاعلاته (تقترب من كونها نظرية)وهي بذلك تحمي علماء العلاقات الدولية وباحثيها من المجادلات الوجودية والنفعية والمنهجية التي لا تنتهي.
٥- ان هناك ما يمكن تسميته بالقوة الثابتة والتأثير الممتد للواقعية بشتى أنواعها في مجال العلاقات الدولية.

The Neorealist In International Relations: an Analytical vision for the Assumptions, Classifications, and Foundations

Instructor Doctor: **Muneam Khamees Mukhlif**

Abstract

The Neorealist is a theory of international relations that has extended roots in the history of contemporary international relations. That's what crystallize a specific philosophical perceptions of international relations. Neorealist theory has passed through a developmental course as a logical consequence of the philosophy of a number of strategists who tried to formulate this theory. Moreover ,this theory is characterized by a constant power and extended effect in analyzing the interactive course of the international relations. It is worthy to mention that every theory has positive and negative features, and Neorealist theory does not come out of this frame as a theory that represents a humanitarian phenomenon.